ISSN: 2706-6495

الشرق والغرب في الميزان (رؤية جارودي في حوار الحضارات)

East and West in the Spotlight (Jaraudy's Vision of Dialogue of Civilizations)

إعداد: الدكتورة/ إلهام يحيى محمد الرخاوي

مدرس بكلية الآداب، جامعة بنها، جمهورية مصر العربية

Email: ealrakawi@ut.edu.sa – drelhamalrakhawy@yahoo.com

الملخص

لقد شـهد العصـر الحديث في الغرب ثورات فكرية كبرى من أمثال الهيجيلية والماركسـية والكانطية والتي أسـماها "ليوتار" "الأسـاطير أو الحكايات الكبرى في التاريخ"، لأنها تتسـم بالوحدة والشـمولية ويبدو فيها تضـامنا بين الأنا والآخر، ولكن جاء عصـر ما بعد الحداثة حاملاً بين طياته مبادئ التعددية والنسـبية ورفض تمركز السـلطة، مما كان له أكبر الأثر في تحول مسـار العلاقة بين الأنا كحضارة للشرق وبين الآخر (الغرب).

ويهتم هذا البحث ببيان أفكار "جارودي" المتضـامن مع بلاد الشـرق كثيرًا وفي نفس الوقت عبر عن سـخطه على بلاده ومستنكراً لسياساتهم الاستعمارية، فيحاول التوفيق بين حضارتين ينتمي عقائدياً لمن ليسوا من جلدته وينتمي عرقياً إلى خصومه وهم بنو دولته. وتعد أفكاره ضـد الإمبريالية والتمركز حول الذات والرأسـمالية بمثابة تمرد فكري على الأوضـاع السـياسـية والاقتصـادية والأخلاقية السـائدة في الغرب، والتي يستلزم تغييرها تغيير طبيعة التفكير في المفاهيم السـائدة حول هذه الأوضـاع حتى يتم نشـر ثقافة جديدة وهي ثقافة الاختلاف وقبول الآخر. وقد اسـتخدمت المنهج التحليلي، وتمثلت أهم النتائج في بيان أنه كان لجارودي إسـهامات عديدة من أجل إقامة هذا الصـرح الفكري العملاق الخاص بحوار الحضـارات والذي أطلق عليه اسـم المشروع الكوني أو مشروع الأمل وما فيه من محاولات لإيقاظ أفكار العالمية والسلام والانسجام بين الأنا والآخر.

الكلمات المفتاحية: الشرق، الغرب، الأنا، الآخر، حوار الحضارات، جارودي

ISSN: 2706-6495

East and West in the Spotlight (Jaraudy's Vision of Dialogue of Civilizations)

Dr. Elham Yahia Mohammed Al-Rakhawy

Lecturer at the Faculty of Arts, Benha University, Arab Republic of Egypt

Email: ealrakawi@ut.edu.sa - drelhamalrakhawy@yahoo.com

Abstract

In the West, the modern era has witnessed major intellectual revolutions such as Hegelianism, Marxism and Kantianism, which Lyotard called "myths or grand tales in history", they were characterized by unity and inclusiveness and solidarity between the ego and the other. But the postmodern era handled the principles of pluralism, relativism and the rejection of the concentration of power, which had the greatest impact on the transformation of the relationship between the ego as a civilization of the East and the other (the West).

This research presents the ideas of "Garaudy's" solidarity with the countries of the East. At the same time, he expresses his indignation at his country and denounced their colonial policies. He tries to reconcile two ideologies; to which he ethnically belongs. His ideas against the Western imperialism, self-centeredness and capitalism and his intellectual rebellion against the political, economic and moral conditions. He believes that changing them requires altering the nature of thinking about perceptions of situations in order to spread a new culture of difference and acceptance of the other. I used the analytical method. Results show that Garaudy had many contributions to the establishment of this giant intellectual edifice of dialogue of civilizations, which was called the or the project of hope and its attempts to awaken the ideas of universality, peace and harmony between the ego and the other.

Keywords: East, West, Ego, Other, Dialogue of Civilizations, Jaraudy

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة / Introduction

إن هذا الكون في مضمونه قائمٌ على ثنائيةٍ متلازمة مع بعضها البعض؛ من خيرٍ وشر، وأبيضَ وأسودَ، وجسدٍ وروح ... إلخ. وكلُّ شقٍّ من هذه الثنائية يظل في صراعٍ مع الآخر بمرورِ الزمن، لكن الكلمة العليا تكون لمن يمتلك وسائلَ إقناعِ الآخر، ومَن لديه أدوات النهوض بما يتسق مع العصر الذي يحييه. ومن ثَمَّ كانت أشكال متعددة لهذا المفهوم الفلسفي القديم؛ ومنها الأنا والآخر بين الهوية العربية الإسلامية وبين الغرب، بين الطبقات، وبين الإنسان والمنظومة البيئية المكونة من حيوان ونبات وجماد. ولما كان هذا التعدد فقد جعلتُ ما يتعلق بالحضارات المختلفة هو محورَ البحث.

لقد حفل القرنُ العشرون بثوراتٍ علميةٍ وصناعيةٍ واجتماعية واقتصادية هائلة مما كان له أكبر الأثر في تحول مسار العلاقة بين الأنا كحضارة للشرق، وبين الآخر (الغرب). ومن ثَمَّ فإن الخصوصية التي ميزت هذه الفترة الزمنية أدت إلى انتشارِ أفكارِ الصراع وحوارِ الحضارات.

وقد ظهر ذلك من خلال عدة أمور:

أولاً: بخصوص السمات التي دعمت فكرة صراع الحضارات نجد أن الفضل في ذلك يرجع إلى الاعتماد على المناهج المستحدثة للبحث والدراسة المغايِرة للمناهج المطلقة، وذلك مثل المنهج التجريبي والاستقرائي والاستنباطي وغيرها من المناهج التي تهدُف إلى استجواب الطبيعة وإخضاعها للتجربة، وإعادة إقامة الحجة على كل ما هو مُسَلَّمٌ به. ومن هذه العوامل أيضاً قيام الثورة الصناعية وأفكار "تشارلز داروين" حول أصل الإنسان والحرب النازية والحرب العالمية الثانية، وظهور التكنولوجيا الحديثة في كل فروع العلم، والثورة البيولوجية -الخاصة بأخلاقيات الطب والتعامل مع أعضاء جسم الإنسان-، والثورة البيوتكنولوجية -الخاصة بأخلاقيات وقواعد استخدام الأسلحة النووية والآلات المدمرة بين الدول سواء في فترات السلم أو الحرب-.

ولأن الغرب أو الدول الأوروبية هم أصحاب اليدِ الطُولَى في ظهور كل هذه التطورات فقد أدى ذلك إلى شعورهم باستمرار في أن لهم حقَّ السلطة والسيطرةِ على كل من تُسوِّل له نفسُه استخدامَ تقنياتِهم. ومن هنا تطورت فكرة الصراع والصدام بين الحضارات.

ثانياً: بخصوص السمات التي دعمت فكرة حوار الحضارات نجد أن ذلك اتضح من خلال ظهورِ أفكارِ الحريةِ والسلام والمساواة ورفض العرقية والعنصرية، وكذلك ظهور حركات المناداة بالاشتراكية من قبل، وامتداد ذلك فيما ظهر مؤخراً باسم مبدأ إعادة توزيع الثروات أو العدالة التوزيعية. ومن ثم فقد أدت هذه الحركات إلى تطور فكرة حوار الحضارات.

ثالثاً: ظهور أفكار نأت بعيداً عن الشعارات الجوفاء التي ليس لسامعها حظٌّ منها سوى مجردِ السماع، وهي أفكار متعلقة بأثر اقتصاديات السوق الحرِّ وتكنولوجيا المعلومات وثورة الاتصالات والإعلام ... وكلِّ ما تشمله المنظومة الليبرالية المعاصرة، وأثرِ كلِّ ذلك على علاقاتِ الدولِ والشعوب ببعضها البعض، مما جعل معيار تلاقى الأنا والآخر يُقاس بمدى المصالح والمنافع المتبادلة بين كليهما.

ISSN: 2706-6495

1.1. إشكالية البحث والتساؤلات

تكمن إشكالية البحث في أنه إذا كان التحدث عن حوارِ الحضارات وتضامنِ الأنا بالآخر والحثِّ على احتواء كلٍّ منهما للآخر من أجل بناء منظومةٍ شموليةٍ متكاملة- ثقافية، وسياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية ..- ترمى إلى تأسيس وتشييدِ مجتمعٍ تطاولُ آمالُه أفقَ السماء، وإذا كان كل ذلك مقبولاً في عصر الاشتراكية ومساندة الطبقة العاملة في كل أنحاء العالم، وفي عصر تلاقى العلوم التجريبية مع العلوم الإنسانية من أجل تجانس الروح مع المادة، والعاطفة مع العقل، فكيف يمكن الآن مناقشة انسجام الأنا مع الآخر في ظل عصر ما بعد الحداثة وما يحمله من سماتٍ تقوم على التعددية والفردية والنسبية، ورفض المطلق، ورفض تمركز السلطة والمناداة بالتمركز حول الذات؟!، كيف يمكن أن يحدث هذا الحوار بين الشرق والغرب؛ الغرب الذي يعتبر نفسَه الأنا الأعلى في الوجود وصاحب الكلمة العليا والسيطرة الكلية؟ ، كيف يمكن أن يحدث هذا بين المسلمين واليهود الذين يعتبرون أنفسَهم شعبَ الله المختار؟، وعلاقة ذلك بالعادات والتقاليد والموروثات الفكرية لدى الغرب وخاصةً التفرقة العنصرية والعرقية.

2.1. أهداف البحث

1- مناقشة المفكر الفرنسي "رجاء جارودي" Ragaa Garaudy (1913 – 2012) لقضية العلاقة بين الشرق والغرب وطموحه في تحقيق حوار الحضارات وقد ظهر ذلك في كتاباته العديدة سواءً قبل أن يعلن إسلامَه أو بعد إعلانه والذي ظل ناقماً على الإمبريالية والاستبدادية التي تمارسها الثقافة الأوروبية على العالم. وكذلك يمكن القول بأن إسهام "جارودي" لا يتمثل فقط في الإشادة بجهود نماذج من العالم الثالث كان لها الفضل في تحريك الروح النقدية والثورية ليصلوا عبرها إلى تحقيق حريتهم وجلاء الاستعمار عن بلادهم مُتخذاً _ روح الجماعة عند "يوليوس نيريري"، وسياسة اللاعنف عند "غاندي"، ونظرية التربية عند "باولو فريري"- نماذجَ يحتذى بها. وهذا في حد ذاته إسهامٌ منه، فكأن لسانَ حالِه يقول-بعد أن بيَّنَ ذلك- افعلوا مثلهم، وسيروا على دربهم، كي تحققوا أمنكم وحريتكم، مستقلين بذاتكم. وبالتالي فإن هذا يكفل إقامة حوارٍ حضاري بين شعوب الأرض.

2- يعرض هذا البحث لنموذج مفكر غربي يعرض اعترافَه بصدقٍ وموضوعيةٍ، وإدراكَه جيداً لما لدى بلاد الشرق من مواردَ كانت سبباً مهماً في طمع المستعمرين وغزوهم وظلمهم لهذه البلاد. وسنوضح هذا في ثنايا البحث.

3- بيان هذا البحث لإسهام "جارودي" في إقامةِ السُّخْطِ على بلادِه والتنديدِ بنواياهم الحقيقية ضد بلاد الشرق، وكشف أسرار الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية والتشكيك في أعداد ضحايا الحرب النازية حتى تمت محاكمته واتهامه بمعاداة السامية. وأخيراً الإسهام الذي يدور الشك حول إيجابيته أو سلبيته هو دخوله الإسلام وإيمانه بأن هذا الدين هو الرسالة الخاتمة لجميع رسالات السماء ولكن بمنظوره هو.

4- توضيح أن قضيتنا في هذا البحث ليست التنقيبَ عن مدى نقاء إيمانه أو إسلامه، ولكن القضية هنا هي بيانه للكيفية التي يمكن أن نصنع بها مستقبلاً يسمو بالإنسانية إلى النمو بجميع معاييره ومستوياته التي تجمع بين متطلبات الروح والعقل والبدن. وكان منهجه في تحقيق ذلك -وفقا له- يستلزم الإيمان بمبادئ العدالة الاجتماعية لدى "ماركس"، وكذلك السلام والحب والزهد في النصرانية، كما أنه لا غنى عن الإسلام الذي لن يكتمل لدى المرء إلا بالإيمان بجميع الكتب والرسالات السماوية، والذي يحضُّ على الوعي بالآخر كإنسان في كل مكان.

ISSN: 2706-6495

3.1. أهمية البحث

يعد هذا البحث محاولة من "جارودي" بأن يجمع ويوفق بين معتقدات مختلفة اختلافاً جذريا مثل (الماركسية والنصرانية والإسلام) اعتقادا منه أن في ذلك تعزيزا للحوار بين الأنا والآخر وسبيلا لتحقيق تواصل الحضارات. ولكن على أي أساسٍ مشترك تسنى له أن يجمع بين كل هذه المذاهب؟ وهل استطاع أن يبلور لنفسه أيديولوجيا واضحةَ المعالم يمكن لنا أن نستخدمَها في الحوار بين الأنا والآخر؟ وأخيراً هل يمكن الوصول من خلال أفكاره إلى مبادئ خاصة بالسلام والتوافق الدولي؟

وجدير بالذكر أن هذا البحث وما يقع على شاكلته من كتاباتٍ مِن شأنها أن تعزز الحوار بين الأنا والآخر من خلال تواصل الحضارات، وليس التغني بأمجاد عروبتنا، وكذلك بيان تلك الثروة الهائلة التي يمتلكها العرب بشهادة إنجازاتهم السابقة وبشهادة الصادقين من غير العرب، والذين- في خضم هذه التقنيات والتكنولوجيا الوافدة علينا من الغرب والتي تهدف إلى تهميش وتغريب العقل العربي- تاهوا في أغوار ذلك وضلوا الطريق. وما علينا إلا أن نُفِيقَ من هذه الغفلة ونحدد غاياتنا ونسير على ضوئها في دروب العلم والقيم والثقافة.

4.1. منهج البحث:

أما عن المنهج المتبع فهو المنهج التحليلي الاستقرائي

وينتظم هذا البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

1- صورة الغرب كما يراها جارودي.
2- صورة الشرق كما يراها جارودي.
3- المشروع الكوني (مشروع الأمل).

المبحث الأول: صورة الغرب كما يراها جارودي

"إن شرط نمو (الغرب) إنما كان بالضرورة وليد نهب

ثروات القارات الثلاث ونقلها إلى أوروبا وإلى أمريكا الشمالية،

وبالمقابل فإن (الغرب) هو الذي جعل ما نسميه العالم الثالث متخلفاً"

جارودي: في سبيل حوار الحضارات ص 40

لقد تحدث "جارودي" عن أوروبا بلهجة لاذعة ساخطة، حيث يرى أنها صاحبة لغة مزدوجة تتغاير أفعالها عن شعاراتها وأقوالها، فهي تنادي بحقوق الإنسان ومبادئ الحرية والعدل والمساواة، في حين أنها تتعامل من منطلق أنها صاحبة السيادة وباقي دول العالم هم العبيد، فضلاً عما يحمله هذا النظام من غزو وسيطرة وقهر واستبداد واستغلال ... إلخ من تلك المصطلحات التي تحمل في مضمونها استعباد الآخر وليس الحوار معه. والتاريخ يشهد بذلك قولاً وعملا.

ISSN: 2706-6495

إن الهيمنة الأمريكية المعاصـــرة هي امتداد لأفكار الإعجاز والتفوق العقلي لدى اليونانيين قديما، ولأفكار شـــعب الله المختار لدى اليهود، وكذلك لأفكار نقاء العرق الآري لدى النازيين الألمان. وما يدل على ذلك هو الخطاب الأمريكي وما فيه من رموز للتفوق الاقتصـادي والصـناعي والعلمي واستخدام ذلك كوسـائل جديدة للاستعباد والهيمنة على شعوب العالم عامة والعالم الثالث خاصـة. فقد أنكر جميع الأحكام العرقية وأطلق على ذوي النـزعات العرقية اسم "الشر الأبيض" معتبراً أن عصر النهضة بما أنتجه من أفكار الرأسمالية والاستعمار كان له أكبرُ الأثر في هدم حضـارات أسمى من حضارات الغرب، هذا فضلاً عن أن التفوق الغربي لا يرجع إلى ثقافة بل إلى استخدام تقنيات السلاح لأهداف عسكرية عدوانية) (جارودي: (ب.ت) ص9) ومن ثَم فالركيزة الأساسية التي أراد "جارودي" أن يؤسس عليها فكرة حوار الحضارات هي دحض مزاعمهم القائمة على أن حضارتهم معجزة أصـيلة جاءت على غير مثال أو أنها خلق عبقري أصيل لم يستمد جذوره من سابقيه. فانتقد هذه الفكرة من خلال توضيح المنابع الفكرية الحقيقية للفكر الغربي. ونظراً لأنه قد أظهر اســتنكاره لحجج الغرب الواهية عن التقدم في جميع المجالات فنرى أنه من الأفضــل أن نعرض هنا لصــورة الغرب الاقتصــادي والســياســي والديني من وجهة نظره. فيقول: " إن الغرب حادث عـارض، إنـه أخطر عـارض طرأ في تـاريخ الكرة الأرضـــيـة والـذي قـد يقود اليوم إلى فنـائـها" (جـارودي: في ســـبيل حوار الحضارات: (ب.ت) ص78).

ويمكن القول بأن "جارودي" قد نعتهم بذلك نتيجة عدة أمور:

أولاً: ما اقترفوه من جرائم وتخطيطات كان هدفها الاستيلاء على دول العالم الثالث. فلقد اتخذ الغرب عدة خطوات لكى يجعلوا من الشرق عالماً متخلفاً كما يدَّعون؛ ومنها استيلائهم في القرن السادس عشر على ثروة الأيدي العاملة ونقلها إلى الدول الأوروبية لكى يعملوا في المزارع والمناجم بعد اكتشـاف الذهب والفضـة في أمريكا، والذي كان له أثر كبير في اتسـاع اقتصـاد السـوق فيما بعد مما أدى إلى تقهقر الاقتصـــاد الأفريقي من جرَّاء نزف اليد العاملة وأدى أيضـــاً إلى حدوث مجاعات في القرن التاسع عشر، وبالتالي فقد أدى هذا السلب والنهب والاستعباد للهنود الأمريكيين والأفريقيين[1] إلى ازدهار الرأسمالية الأوروبية أو كما عبر "كارل ماركس" بأنه الفجر الدامي لعهد الإنتاج الرأســـمالي وعبر عنه "جارودي" بأنه تلك الإبادة الجماعية للقوى البشرية عن طريق استعبادهم هو الجريمة التاريخية العظمى التي اقترفها الغرب) (جارودي: (ب.ت)).

لقد أعلن "جارودي" عن عدد كبير جداً من النصوص التي تفضح النوايا والطرق الاستعمارية في الدول الغربية لدول الشرق عموماً مثل نهب واستغلال إنتاج معين لدولة ما ثم إعادة تصديره لها مرة أخرى، عند فرض تجارة وزراعة معينة على بلد ما، عند تدنيس المعابد والأضـرحة وحرمة المنازل والأماكن الإسلامية المقدسة، إنها نصـوص واعترافات يندى لها الجبين. ومن أبسط هذه النصـوص ما كتبه الكولونيل الإنجليزي "كوركان" عندما أصـبح مستعمِراً في كينيا "سـرقنا أرضـهم: وبقي أن نسرق أذرعتهم وأن العمل الإجباري هو النتيجة اللازمة لاحتلالنا البلاد". (جارودي: (ب.ت) ص67)[2].

[1] - فقد بلغ حجم الرقيق خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر قرابة 13000 عبداً في العام الواحد يتم شحنها إلى العالم الجديد. وارتفع الرقم إلى 27000خلال القرن السابع عشر ثم أصبح 70000خلال القرن الثامن عشر". يمكن الرجوع إلى: ب.س. لويد: أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي- ترجمة: شوقي جلال- الكويت- عالم المعرفة- ابريل- 1980 - ص 53: 54.

[2] - للاطلاع على بقية أمثال هذه النصوص يمكن الرجوع إلى نفس المرجع من ص 56: 67.

ISSN: 2706-6495

لقد كان لظهور الثورة الصـــناعية منذ 1750م أثر كبير جداً على إلغاء نظام الرق، حيث ظهرت الآلات التي لا تحتاج إلى كثرة الأيدي العاملة وبالتالي فإن الربح الذي كان يحققه هؤلاء العبيد في ظل وجود الآلات ضـــئيل جداً مقارنة بالوضـــع السابق، ولذلك كان إلغاء الرق يُنفَّذ بمقدار تقدم كل دولة صناعياً. وامتداداً لذلك فقد أنتجت الدول الأوروبية الأسلحة والمدفعيات الحديثة في الثلث الأخير من القرن التاســع عشــر مما أدى إلى تفوقها عســكرياً ومن ثَم التفكير في نوع جديد من الاســتعمار والاستيلاء على بلاد الشرق، فتقاسم المستعمرون بدعوى تخليصهم من الرق والعبودية والطريق نحو ذلك يكون من خلال بث رقابة سياسية وعسكرية تــتيح الاستغلال اللامحدود بعد ذلك. أضف إلى ذلك أنهم غزوا البلاد حاملين معهم طابعاً آخر للسيطرة ألا وهو المذهب العِرقي والذي يحاولون من خلاله إقناع الدول التي يستعمرونا بأنهم (الغرب) أفضل منهم. ألم يأتوا بتبشيرهم بالتحرر وتقديم سبل وأدوات تقدمهم؟! وقد وضح "جارودي" (أن خير ما نُعرِّف به الاستعمار أن نرجع -بالاستناد إلى الجريدة الرســـمية- إلى الخطاب الذي ألقاه "جول فري" منظم غزو "تونكين" في المجلس النيابي بتاريخ 28 تموز/ يوليو 1885 حيث يقول: "رغم أن لنا سياسة استعمارية، سياسة توسع استعماري تستند إلى منظومة... وهذه السياسة الاستعمارية ترتكز على قاعدة ثلاثية: اقتصادية، وإنسانية، وسياسية") (جارودي: (ب.ت) ص54) وقد كان السبيل نحو تحقيق ذلك هو إقامة الأسواق الحرةFree Markets المعتمدة على الشركات المتعددة الجنسيات. ومن هنا يمكن القول بأنه إذا كانت أشكال الاستعمار سابقاً قائمة بين طرفين _أعنى الدول المستعمِرة والمستعمَرة_ فإن الأمر أصبح مختلفاً في عصر ما بعد الحداثة Postmodernism، حيث أن هذه الأسواق والشركات مُنحت سلطات الطغيان من خلال استخدام المؤسسات الدولية الكبرى لمصلحتها مثل البنك الدولي العالمي وصــندوق النقد الدولي، وترتبط السيطرة بالدول الكبرى بمقدار أســهمها داخل هذه المؤســسات. وبالتالي فإن القرارات تصــدر تبعاً لما يهدف إلى خدمة مصــالح وتطور هذه الدول "لا لوضــع أســس اســتقلال الدول الفقيرة وتنميتها". (جارودي: (ب.ت) ص76) فالقرار والبقاء للأثرياء والأقوياء. "فنظرية التدخل الإنســاني _مهما كانت جاذبيتها الأخلاقية- هي في الواقع عذر إضافي للتدخلات ذات المصلحة الذاتية من قِبل الأقوياء ضد الضعفاء". (دونللي، جاك: (2006) ص312) وهذا يذكرنا بما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية في العراق في بدايات هذا القرن، حيث دخلوا مُدَّعين أنهم ســيخلصــون الشــعب العراقي من ديكتاتورية وسيطرة الرئيس "صدام حسين"، وكذلك ما ادَّعته وزيرة خارجية أمريكا بما أسمته "الفوضى الخلاقة" وادعاءات إعمار العراق على أسس ليبرالية حديثة. وإذا كانت هذه هي السياسة التي يتبناها الغرب يتوارثها أجيالهم جيلاً بعد جيل – فأنَّى للعرب والمسلمين من هذا التوارث! ألم يأن لهم أن يدركوا ويتعلموا تراث أجدادهم لكي يورثوه لأبنائهم؟!

ثانياً: تمركز فكرة التقدم على المعيار الكمي الاقتصادي فقط، وهذه نظرة أحادية الجانب بالنسبة للتقدم، وقد فقد الجدل حول النمو والتطور مصداقيته بسبب عدم توافق المعايير واختلافها. فالإنسان لدى الغرب ينشأ على المحور العملي الصناعي فقط وهو قائم بذاته على الإنتاج المادي ومدى الاســتهلاك وذلك من أجل تحقيق الرخاء والرفاهية العضــوية لهم، وقد أنكر "جارودي" عليهم ذلك مُشيراً إلى أن توافر الوسائل بتضخم له علاقة بزيادة الانحلال والانحراف، مُنكراً أيضــاً تغافلهم عن الجانب الروحي والنفسي للإنسان. إنه لم يُنكر عليهم التقدم الصناعي في حد ذاته ولكن أنكر أن يكون هو الغاية الوحيدة النهائية. إذ أن معيار التنمية لديهم قائم على "الزيادة الكمية بصــرف النظر عن أية غاية إنســانية وبالنجوع التقني وحده ولو كان نجوعاً مدمراً، وبالتنظيم الاجتماعي ولو أنجب الاضــطهاد والانخلاع" (جارودي: (ب.ت) ص39). وهناك اعتراف من كاتب فرنسي "رئيس تحرير صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفَرنسية الشهيرة" يشير فيه إلى فهم الولايات المتحدة الخاطئ لمنظومات التقدم في العالم والقائمة خاصة على فكرة العولمة، فيقول: "العولمة هي أيضاً النهب الكوكبي.

ISSN: 2706-6495

وتقوم المجموعات الكبرى بتدمير البيئة بوسائل مفرطة، وهي تجني الربح من ثروات الطبيعة التي هي المنفعة المشتركة للبشرية، فهي تفعل هذا بلا وازعٍ من ضمير. ويقترن هذا بإجرام مالي يرتبط بأوساط المال والبنوك الكبرى التي تعيد تدوير مبالغ تتجاوز الألف مليار يورو في السنة، أي ما يزيد على الناتج القومي الإجمالي لثلث البشرية" (رامونيه، إينياسيو: (2006) ص12) وبالتالي فإن التضخم والعولمة الاقتصادية أدت إلى حدوث البؤس الإنساني خاصة لدول العالم الثالث، وقد تكون التبعية من جانب دول العالم الثالث وانبهارهم بالآمال الواهية التي تفنن الغرب في إظهارها وإلباس الاحتلال قناع الازدهار. وانطلاقاً من ذلك فقد أعلن "جارودي" مقته للتبعية لما لها من أخطار تتبعها مستدلاً بموقف اليابان، قائلاً: "إن حالة اليابان تؤكد النظرية القائلة بأن التخلف وليد تبعية قوة أجنبية" (جارودي: (ب.ت) ص39). إذ أنها الدولة الأسيوية الوحيدة التي لم ينل منها الاستعمار وذلك بسبب انغلاقها على ذاتها اقتصادياً في فترات تلذذ المستعمرين بنشوة الاستيلاء على دول العالم الثالث واحدة تلو الأخرى بدعوى إنقاذهم من القهر وتحقيق مستوى أفضل للمعيشة، وبالطبع فإن هذه الوعود ما هي إلا مجرد مبررات لإنشاء السلطة المركزية على العالم أجمع، " فالقمع- نشاط الدولة المباشر الذي ينتهك بانتظام الحقوق المدنية والسياسية- هو القاعدة في الدولة النامية، بغض النظر عن استراتيجية التنمية المتبعة أو النظام الاجتماعي" (دونللى، جاك: (2006) ص225). وبالتالي تكون دول الغرب قد لمست نقاط الضعف لدى بلاد الشرق المتمثلة في شعورهم بالفقر الاقتصادي، فاتخذتها نقطة بداية لاستعمارهم ونهب ثرواتهم.

ثالثا: استغلال الدين كأداة للسياسة أو كستار تتخفي وراءه أعمال العنف والمعاداة وفرض السيطرة على الآخر حتى داخل الطائفة الواحدة، فيرفض "جارودي" ذلك ويستنكره قائلاً: "إن لاهوت الهيمنة الذي تتبناه الكنيسة الكاثوليكية لا يتفق مع تعاليم المسيح وإن التأسلم خيانة للإسلام، وإن الصهيونية السياسية هي نقيض الرسالة العظمى لأنبياء اليهود" (جارودي: (2002) ص20). لقد أعلن "جارودي" بأن هناك مفارقات بين ما تُمليه علينا الشريعة من فرائض وواجبات وبين طريقة تطبيق هذه الفرائض، إذ أنه من المستحيل أن تكون شريعة الله في الديانة اليهودية هي القتل والاغتصاب وسفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ والأبرياء. ولقد أشار مُدافعاً عن نفسه ضد الافتراءات والانتقادات التي وُجهت إليه فيما سُمى بمعاداة السامية من خلال نشر الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، داحضًا استخدام اليهودية كمبرر لأفعالهم العدوانية مُفرقاً بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية، فقال: "لابد ألا نتجاهل أن "هيرتزل"، وعدداً من كبار المسئولين في الدولة الإسرائيلية اليوم يعترفون أنهم علمانيون ومع ذلك يرجعون إلى التوراة ليكتسبوا منها ما يريدون" (جارودي: (2002) ص24). ولم يكن "جارودي" هو الأوروبي الوحيد الذي اعتنق فكرة رفض تضليل اليهودية بالصهيونية الاستبدادية، حيث استشهد في ذلك بخطاب "جودا ماجنيس" رئيس الجامعة العبرية بالقدس منذ عام 1926بمناسبة الاحتفال ببدء الدراسة قال فيه "صوت اليهود الجديد يتحدث بلسان البنادق... تلك هي التوراة الجديدة. لقد ارتبط العالم بجنون القوة المادية ولكن السماء تحمينا من أن ترتبط اليهودية وشعب إسرائيل بذلك الجنون الآن... إنهم يطالبون بملكية تلك الأرض التي يزعمون أن الله- الذي لا يؤمنون به- منحهم إياها... بالنسبة لي شخصياً فإنني لم أنتبه إلا متأخراً للتعارض الراديكالي بين الصهيونية واليهودية". (جارودي: (2002) ص27، 28)

وبالتالي فالصهيونية ما هي إلا حركة استعمارية استهدفت العالم أجمع، بل تُعد المحرك الرئيسي لصور الاستعباد على مر العصور، وحول هذا يُجمِل الدكتور "المسيري" ذلك بقوله "الحل الصهيوني المقترح للمسألة اليهودية جزء لا يتجزأ من

ISSN: 2706-6495

العملية الاستعمارية الغربية التي غطت العالم بأسره، وهي العملية التي أدت إلى تفريغ قارتين من سكانهما (الأمريكيتين)، واستعباد سكان قارة أخرى (أفريقيا) وتحويل قارة رابعة إلى مصادر للمواد الخام وأسواق لبضائع أوروبا الكاسحة(آسيا) والتي نقلت الملايين من أوروبا إلى كل أنحاء العالم" (المسيري، عبدالوهاب: الأيديولوجية الصهيونية- (1982) ص100). أضف إلى ذلك ما ذكره "جارودي" من اعتراف صريح من "هرتزل" (مؤسس الصهيونية) بأنه علماني ومن ثَم فإن الصهيونية تختلف عن اليهودية (دين التوراة) نقلاً عن مذكراته (المجلد الأول ص270 من النسخة الإنجليزية) كتب يقول في 23 نوفمبر 1895: "لقد أبلغت الحاخام الأكبر في لندن، كما قلت للحاخام الكبير في باريس، زادوك كان، إنني لن أطيع أياً من التعاليم الدينية في مشروعي" (جارودي: (2002) ص 33). وبالتالي فإن "جارودي" لم يُخطئ عندما قال: "هذا الاستغلال للدين سواء عن طريق المتطرفين الدينيين أو العلمانيين، هو الأساس لكل الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" (جارودي: (2002) ص 44) حيث اعتبرت الصهيونية العالمية أن المساس بالحدث التاريخي (المحرقة) يُعد جريمة اقترفها "جارودي" وكأنه حدث مقدس لا يمكن المساس به، إذ أن التعرض له يوضح أباطيلهم وافتراءاتهم وكذلك مبرراتهم الواهية في استغلال واحتلال العالم، وبالتالي فإن تمرد الهيمنة الأمريكية يعود إلى سلطة تلك الحركة السياسية التي لا تمت إلى الدين بصلة.

وجدير بالذكر أن المغتصبين للأرض الفلسطينية هم عصبة من أنصار الحركة الصهيونية بالإضافة إلى اليهود الذين حرفوا وبدلوا التوراة بما يتفق مع أهوائهم وميولهم السياسية ليسترقوا قلوب العالم بأنهم شعب مُضطَهَد خاصة بعد المحرقة، ولكن هل يرد اليهود الصفعة للفلسطينيين بدلاً من الألمان؟!، لقد ثأر اليهود لأنفسهم عندما قامت لهم حرب واحدة، ألم يأن للعرب أن يثأروا لتلك الحروب التي تحدث لهم في جميع البلدان العربية من قِبل الصهاينة والأمريكيين والأوروبيين جميعاً!! من يثأر لليابان من جراء ما حدث في هيروشيما ونجازاكي!! تلك هي صورة الغرب كما يراها "جارودي" إنهم يعتبرون أنفسهم بلاد الديمقراطية والحرية ولكنها ليست إلا مجرد مبررات إمبريالية وهيمنة ثقافية على شعوب العالم. ألم تعنى هذه الديمقراطية التعددية الفكرية، بل إنها تقوم أساساً على فكرة ثقافة الاختلاف؟ وبالتالي فإن صورة الغرب صورة مظلمة يشوبها الظلم والرِق لجميع شعوب الأرض وخاصة الشرق، ولكن هل يمكن أن نأخذ هذه الشهادة ونجعلها مدعاة للامبالاة ونقف مكتوفي الأيدي ونلقى العبء على الآخر؟ كلا، بل يجب أن نفحص الأسباب التي أدت بنا إلى ذلك، ونُقدر قيمة ما جعلنا مطمعاً لهؤلاء، وهو بالطبع ما أدركوه عن العرب والمسلمين وبلاد الشرق عموماً من ثروات ضخمة إلا أنه ينقصهم (أي العرب) التنظيم الجيد وتحديد الغاية وترتيب الوسائل. وبالتالي يجب أن نتخذ خطوات إيجابية واعية نحو التوجيه الاقتصادي والسياسي والأخلاقي والثقافي في بلادنا.

المبحث الثاني: صورة الشرق كما يراها جارودي

"إن ما اصطلح الباحثون على تسميته باسم (الغرب) إنما وُلد

في (ما بين النهرين)، وفي (مصر) أي في آسية وأفريقية"

جارودي: في سبيل حوار الحضارات ص 17

ISSN: 2706-6495

لقد وضـح "جارودي" كماً هائلاً جداً مما تعلمه من الثقافات والحضـارات المختلفة من علم وفن وأدب، حيث جال في معظم بلدان العالم وتعلم من ثقافات أقصى الأرض وأدناها حتى ظهرت في فلسفته نزاهة العالِم المخلص، فأعلن عن مقته الشديد لما صـرح به البعض من أن بلاد الغرب هي بدء مطلق وكأنها أول الخليقة، حيث أنها لا تعترف بحضـارة سـابقة عليها ولا آتية بعدها، فرفض ذلك موضـحاً مدى تأثر الغرب بالحضـارة الشـرقية قائلاً "لقد ألهمت مصـر الحضـارة الإغريقية أيما إلهام". (جارودي: (ب.ت) ص 19).

لقد اعترف الغرب أنفسهم بفضل الحضـارة المصـرية عليهم، مما جعل مبرراتهم حول أنهم الحضـارة الأسمى وذوي الأنا الأعلى مبررات واهية، وحجتهم فيما يقومون به من سيطرة واستبداد حجة داحضـة. فعدد "جارودي" مآثر ومناقب العرب -(يمكن الاطلاع على هذه الأمثلة في كتاب جارودي: في سـبيل حوار الحضـارات- ص 81: 92)- التي تشـكل ملحمة عظيمة اسـتفاد منها الغرب في شـتى المجالات مثل علوم الفن والطب والرياضـيات والزراعة والعمارة والفلك والجغرافيا، متأثرين بعلماء العرب من أمثال جابر بن حيان، عمر الخيام، ابن خلدون، ابن الهيثم، الإدريسي... وغيرهم ممن انتشروا في بلاد الشرق مثل دمشـق وبغداد والجزائر وقرطبة والأندلس بعد دخول الإسـلام فيها، وكذلك مصـر والصـين والهند وغيرها مما يشـهد به التاريخ. ومن أبسط الأمثلة التي استدل بها "جارودي" بشعور غامر ومشاعر متدفقة هو أثر الفنون الإسلامية على الغرب وأن أهم هذه الفنون هي المسـاجد وما تحلَّت به من براعة الإبداع وأصـالة الابتكار خاصـة في الزخرفة والنقوش التي تُلهم الشـعور بالتآلف بين الإنسـان والعالم الروحاني؛ إذ تم تفعيل ذلك بزخرفة آيات القرآن الكريم والرسـوم على السـجاد وتزيين المصـحف الشـريف وغيرها من الأمور التي جعلت هذا الفن ينمو في جميع اتجاهات الحياة. وقد أعلن هذا التأثر الرسـام الفرنسـي "هنري ماتيس"(1869- 1954) والذي كتب بعد رحلة إلى المغرب، وفي إثر زيارة لمعرض الفن الإسـلامي في (مينونج) عام 1911 "لقد استلهمت وحي الشرق دوماً. وحدث في "مينونج" تأييداً لأبحاثي. وقد جعلتني الرسـوم الفارسـية الصـغيرة مثلاً أفهم جميع الإمكانات التي كان في وسعي أن أستخلصها من إحساساتي". (جارودي: (ب.ت) ص147). وبعد أن ذَكر "جارودي" بعضاً من هذه المناقب فيما يقرب من إحدى عشرة صفحة يقول منصفاً: "إنني لم أعرض فيما تقدم إلا بضعة أمثلة وعلى نحوٍ سطحي جداً ابتغاء طرح مسألة هي: مشكلة ضرورة وضع التاريخ كله في أفق رؤية لا تشوهها أحكام الغرب المسبقة، رؤية تُقلع عن اتخاذ النظرة الأوروبية مركزها". (جارودي: (ب.ت) ص97). وبالتالي يمكن القول بأن هدف "جارودي" من ذِكر مفاخر العرب هو بيان انحطاط فكرة المركزية الأوروبية، فضـلاً عن أنه يريد من الغرب أن يكتبوا ويتتبعوا دراسـة التاريخ بصـدق وعدل وإنصـاف، مُصـرحاً بأسـفه على ما ألم بالعالم الثالث من جراء أفاعيل وأباطيل الغرب المدمرة الهادفة إلى الاسـتيلاء والنهب والاستعمار موجهاً حديثه عن أهمية ما أسماه بالفرص المفقودة بقوله "كان في وسع هذه اللقاءات لو أنها جرت في قرينة تاريخية أخرى، أن تتيحه لنا في الاستعاضـة عن" الإنسان ذي البعد الواحد"، إنسان (الغرب)، بالإنسان الشامل الذي يمكن أن يولد من حوار حقيقي بين الحضـارات على السـلم العالمي"(جارودي: (ب.ت) ص75).. إنه يحلم بتاريخ آخر يخالف ما حدث عند التقاء حضارات الغرب والشرق ببعضهما البعض، إنه رسم صورة طوباوية كان يريد فيها أن يتحول مسار التاريخ بانتهاز فرص وغنائم وثروات البلاد واستغلالها في صـالح نمو وتقدم العالم بأكمله وليس النهب لدولة لصـالح أخرى، فالعدالة الإنسـانية تقتضـي منحى آخر، إذ تستلزم ضميراً يؤمن ويعلن بفضل الشرق على الغرب وذلك بـــ "أن نقضي على التصور التسلطي في الثقافة الغربية وأن نسـتعيض عنه بتصـور "سـيمفوني" إذ نتطلع بأسـئلتنا إلى حكمة العالم اللاغربي". (جارودي: (ب.ت) ص79).

ISSN: 2706-6495

ومن هنا نجد أن "جارودي" يقدم عدة نماذج من بلاد الشرق ودول العالم الثالث، نماذج تُشكل مبادئ يمكن أن يحتذى بها في منظومة بناء حوار حضاري بين الذات والآخر، وتشكل أركان الإصلاح والنمو الحضاري، إصلاح في الوضع الاجتماعي، الاقتصادي، التربوي، وكذلك إصلاح في الوضع السياسي والديني.

1- الاشتراكية الجماعية

يقوم هذا المبدأ أساساً على رفض الاستغلال والهيمنة غير المُبَرَرة سواء من الداخل أو الخارج، وأن يكون النمو مُستقلاً عن هبات البلاد الخارجية التي لا تسعى إلا لتحقيق أهدافها وخدماتها في الدول التي تستعمرها، وضرورة إزالة الفروق الطبقية القائمة على درجة التعليم أو الوظائف أو الممتلكات، وألا تكون الغاية هي تنمية تلك الممتلكات الفردية ولكن بث روح العمل الجماعي من أجل التفوق والنهوض الجماعي أيضاً. وقد اتخذ "جارودي" مثالاً على ذلك "يوليوس نيريرى" (1922-1999) Julius Nyrere المتحدث الرسمي الرئيسي للتعاون بين أمم أفريقيا السوداء باعتباره رئيساً لـ"تنزانيا" Tanzania والذي استنكر تبعيات دخول الاستعمار والرأسمالية إلى أفريقيا مثل التمييز الطبقي والعنصري وبالتالي رفض التبعية للغرب، فاتجه "نيريرى" نحو حل هذا الإشكال في خطوات ثلاث: (جارودي: (ب.ت) ص 170: 171). تحمل معناها وقيمتها في ذاتها:

1- الاحترام المتبادل: (والذي يؤدي إلى النمو المتبادل مما يكفل للجميع المشاركة في القرارات السياسية والمساهمة في نمو الملكية الجمعية).

2- نظام التملك: (ويكون قائماً على ألا يخجل أحدٌ من بؤسه أمام غنى الآخر، وألا يخجل إنسان من ثروته أمام بؤس الآخر).

3- العمل: وهو واجب على الجميع.

وثمة نقطة هامة يمكن ملاحظتها عند "نيريري" حول الاشتراكية الجماعية وهي مراعاة الموارد الحقيقية للدولة، سواء صناعية أو زراعية والعمل بمقتضى ذلك وتطبيقه على حركة التعليم لتلك الدولة. وبم أن أفريقيا قارة زراعية أكثر منها صناعية، فكان لابد من إقامة صرح فكرى يخدم تلك الطبيعة ويتناسب مع سوق عمل المواطنين وليس المستعمِرين؛ إذ ينبغي علينا رفض التربية الاستعمارية والنهوض بالتربية القومية بالبحث عن إجابة لسؤال واحد وهو: ما الذي نحتاجه لتنمية ووحدة بلادنا؟ وقد أجاب "جارودي" على ذلك بقوله: "مجتمع اشتراكي يستند إلى ثلاثة مبادئ: احترام كرامة كل فرد، اقتسام الثروات التي تنتجها جهود الشعب ذاته وعمل كل إنسان شريطة ألا ينجم عنه استغلال امرئ غيره" [وهذه المبادئ تُشكل نتاج طبيعي لنظام التربية التي تم العمل به بعد استقلال تنزانية من الاستعمار]، وهو قائم على أهدافٍ ثلاثة:

1- القضاء على كل تمييز عنصري.

2- تنمية التربية [بوضع موازنة مالية جيدة خاصة بنمو مؤسسات التربية].

3- جعل نظام التربية ذات مضمون جديد مرتبط بنمو التاريخ الأفريقي ارتباطاً عضوياً". (جارودي: (ب.ت) ص174).

وهذه الإجابة تُعد بمثابة احتواء المجتمع الإنساني مادياً ومعنوياً أي أنه يحصل على احتياجاته وحقوقه في المجتمع ليس من قَبيل الهبة والعطف ولكن بكرامة، فلا يرضى الاسترقاق والعبودية نظير لقمة العيش، وكذلك لا يرضى بالعيش الرغيد والرفاهية مقابل الاستسلام والخضوع فيما يخص حقوقه المدنية والسياسية. أضف إلى ذلك أن النظام الذي استخدمه "نيريرى" في التربية يربط التعليم النظري بالحياة العملية مما أدى إلى وضع المسئولية على عاتق كل متعلم بتنمية المجتمع المدني.

ونختتم ذلك بقوله "نيريري" التي بعث بها في ساعة التحرير في الثاني والعشرين من أكتوبر 1995: "إن شعب "تنجانيقا" سيوقد شعلة ويزرعها في قمة (كلمنجارو). وسيشع نورها فوق الحدود ويحمل الأمل حيثما كان اليأس، والحب حيثما كان الحقد، والكرامة حيثما كان الإذلال ... ليثق شعب بريطانية وسائر الشعوب أننا لسنا عدواً، بل شعاع أمل. وليس في وسعنا، نحن، إطلاق صواريخ إلى القمر، بل في وسعنا أن نرسل صواريخ محبة وأمل إلى جميع البشر، إخواننا أينما كانوا" (جارودي: (ب.ت) ص179) فهذا مثال جيد لدولة "تنزانيا" الاشتراكية والديمقراطية التي استطاعت أن تسحق الاستعمار بمحركين يمكن اعتبارهما بمثابة عصا القوة التي كان لها الفضل في تدمير عدوان غزاها وهما العمل والأمل، إنها سيمفونية الحب والتسامح والحوار الحضاري التي أذاعها "نيريري" في جميع أنحاء أفريقيا.

2- (ساتيا غراها) "غاندي"

لقد اختلف معنى الاستقلال الذاتي والمسئولية الشخصية في أوروبا عما جاء به الزعيم الهندي "غاندي" (1869-1948)Gandhi ، حيث إن الاستقلال والحرية في رأيه لا يكونان معياري الحكم عليهما بواسطة مدى الضرر الذي يلحق بالفرد بل بمدى ما يحققه من نفع للمجتمع ومدى تقليل المعاناة للجماعة أيضاً. فيقول "غاندي": "إنما الحرية الفردية وحدها تستطيع أن تجعل الإنسان قادراً على الانصراف إلى خدمة المجتمع انصرافاً كلياً" (جارودي: (ب.ت) ص183). ومن الإسهامات العظيمة التي قام بها "غاندي" هي اختراع تقنية العمل، حيث أقام منظومته الفكرية على مبادئ ثلاثة استطاع من خلالها أن يحقق حرية إيجابية "عندما قاد إلى النصر كفاح تحرر أربعمائة مليون من الهنود". (جارودي: (ب.ت) ص182) وهذه المبادئ هي: الحقيقة، واللاعنف، والألم الشخصي المقبول قبولاً حراً.

يرى "غاندي" أنه ليس هناك من يستطيع أن يدرك الحقيقة المطلقة ومن ثَم فإنه لا يمكن توجيه العنف ضده. ومن خلال هذا المبدأ يمكن إقامة حوار حضاري حتى بين الشعوب المستعمِرة والمستعمَرة. إن المشكلة تكمن في تحديد نقطة البداية بين الغايات والوسائل، فإذا كان الغرب يحددون الغاية أولاً ثم بعد ذلك يتخيرون الوسائل (أياً كانت) في سبيل تحقيق غاياتهم أياً كانت، نجد أن "غاندي" يشير إلى أنه يتم استخراج الغايات الإيجابية من الوسائل السليمة وأنه يمكن استخدام الحب في طريق ما يحصل عليه الغرب بالعنف وسلطة السلاح والآلات "وهذا لا يعنى معونة المسيء على الاستمرار في الإساءة، ولا التسامح بموقف قبول سلبي؛ إنه إبداع علاقة إنسانية مع الخصم" (جارودي: في سبيل حوار الحضارات: (ب.ت) ص186). وبالتالي فقد جعل اللاعنف غاية ووسيلة في نفس الوقت، إنه غاية في ذاته ويستخدم كوسيلة عن طريق إقناع الخصم بواسطة رموز الرفض "المقاطعة، اللاتعاون، الإضراب، العصيان المدني، رفض دفع الضرائب" (جارودي: (ب.ت) ص187) ومن ثَم "فإن قيمة الغاية هي قيمة الوسائل، والوسائل كالبذور، والغاية كالشجرة. والمرء إنما يحصد ما يزرع ولذا فإننا إذا انتبهنا إلى الوسائل وثقنا من بلوغ الغايات"(جارودي: (ب.ت) ص188). وبالتالي فإن شرف الغاية لابد أن يتبعه شرف الوسائل وسموها.

وفيما يخص الألم الشخصي الذي يدركه المرء بإرادته الحرة فإنه يتمثل في سمو الروح على الجسد والتغلب على مطالبه في سبيل تحقيق ما هو أسمى. ومثال ذلك (عندما أعلن "غاندي" "الصوم حتى الموت" حين قامت حروب طائفية عقائدية بين المسلمين والهندوس، فكان هذا الشعار حلاً لهذا النزاع. وبما أن التغلب على آلام الجسد تؤدى إلى التغلب على الخوف فإن هذا بدوره يؤدى إلى التغلب على العنف، حيث أن ذلك يبرز قدرة الإنسان والعقل البشرى على تغيير المجتمع، وهذا ما جعله _أيضاً_ يتحدى القوة الجبارة للإمبراطورية البريطانية الظالمة وجعلها تتراجع وتستسلم بأسطولها وجيوشها التي لم تُهزم من قَبل) (جارودي: (ب.ت) ص189). ويمكن القول بأن مبادئ السلام العالمي والصفاء النفسي التي أذاعها "غاندي" ما زالت تشع في الهند حتى اليوم، ونستشهد بموقف "آمارتيا صن"(1933-....) الفيلسوف والاقتصادي الهندي الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1998، فنعضد موقفه في دحض وهم المصير الحتمي للبشرية والذي عبر عنه "هيجل" بـــ"نهاية التاريخ" و"فوكوياما" بـــ"نهاية الإنسان"، فيوضح "صن" بأن هذه القوة الجبارة للعنف والحرب التي استخدمتها القوى المهيمنة في العالم يمكن أن تُوجه في طريق السِلم وتهدم جميع النبوءات بانهيار كوكبنا. فيقول "عندما تؤخذ احتمالات قيام علاقة طيبة بين أفراد مختلفين من البشر أساساً باعتبار أنها "لقاء بين الحضارات" أو "حوار بين جماعات دينية" أو "علاقات طيبة بين جماعات مختلفة"، فإن تصغيراً خطيراً للكائنات البشرية يسبق البرامج المرسومة من أجل السلام" (صن، أمارتيا: 2008- ص7). وبالتالي فإن "جارودي" قد اتخذ "غاندي" مثلاً يحتذى به على اعتبار أن قوة الإرادة والحرية القائمة على المسئولية والإيمان بالغايات والوسائل الفعالة، هي أقوى أسلحة يمكن أن تقيم حوار حضاري إيجابي.

3- التربية في نظر "باولو فريري"

يعد البرازيلي "باولو فريرى"(1921- 1998) Paulo Freire من فلاسفة الحرية المعاصرين في العالم الثالث، ونجد أن تجربته قد أشاد بها "جارودي" وجعلها إحدى الإسهامات لتقدم الإنسانية وإمكانية بناء حوار حضاري قائم على هدم ثقافة الصمت النابعة من القهر والجهل والاستعباد، فنادى بالثقافة النقدية الإبداعية ومدى فائدة التوعية في حل مشكلات الإنسانية. يقول "فريري": "إن قُوَام "التوعية" يمثل في إدراك التناقضات السياسية والاقتصادية والوقوف في وجه عناصر الاضطهاد الموجودة في الواقع" (جارودي: (ب.ت) ص197).

وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه النماذج التي أدلى بها "جارودي" في سبيل إقامة حوار حضاري هي بمثابة نداء بعدم التقوقع حول الذات. إن أفلاطون لم يخطئ عندما شبه إيمان الإنسان بأفكاره وحده وكأنه يعيش في كهف، بل لقد امتدت الحياة في هذا الكهف حاليا رغم كل التقنيات والتكنولوجيا الحديثة، ألم يأن لهؤلاء -(الغرب المنغلقين على ذاتهم وأمثالهم في بلاد الشرق)- أن يخرجوا من كهوفهم ليتعرفوا على كهوف الآخرين بل ويتواصلوا سوياً ليس في كهف ولكن في صرحٍ فكريٍّ عملاق متجانس، لا نحجر فيه بأفكارنا على الآخرين، ونعمل حقاً على احترام الأنا أياً كان واحترام الآخر في أي زمان، فنحافظ بذلك على اتساق قيم المجتمع. إن "جارودي" عندما يصور الأنا والآخر نتخيله وكأنه يقف في شُرفة يطل منها على عالم الشرق والغرب بمحاسنهم ومساوئهم وينتقى مزايا العالمين لينتج عالماً ثالثاً، يخضع فيه الشرق بكل كبرياء وتواضع ليتعلم من الغرب ما هو صالح لنهضته وليقوم الغرب بنفس الدور تماماً حتى يرتقي الطرفان محتفظين بهويتهم، مجددين لأمتهم، وكل ذلك في سبيل تقدم الإنسانية جمعاء.

المبحث الثالث: المشروع الكوني: (مشروع الأمل)

"مفتاح مشكلاتنا يكمن في إحداث تغيير جذري في

علاقاتنا مع العالم الثالث، وفي تغيير جذري أيضاً في النموذج

الغربي للنمو." جارودي: حفارو القبور ص125

"إذا كان تحرير وتحديد المفاهيم- مفاهيم المصطلحات- هو الطريق الآمن لأي حوار حقيقي، بل ولاكتشاف مساحة الاتفاق والاختلاف بين مختلف الفرقاء" (عمارة، محمد: (ب.ت) ص5)، فإن تغيير المفاهيم السائدة في الغرب- التقدم، النمو، الحرية، الديمقراطية، العولمة- وإدراك دلالتها الحقيقية هي أولى الخطوات في سبيل تحطيم الهيمنة الغربية وبناء القرن الحادي والعشرين بشكل صحيح. فالتقدم والنمو لا ينبغي أن يكون استبداداً واستهلاكاً لموارد الآخرين أو أن يكونَ أَحادي الجانب، بل يجب أن يكون إبداعاً حقيقياً وتكاملاً وتكافؤاً بين الاحتياجات والإنتاج. وأما الحرية فلا ينبغي أن تكون فوضى غاشمة، بل موضوعية في إقامة معايير التبادل والتعاون بين جميع الأسواق وجميع الدول. وكذا لا تكون الديمقراطية إمبريالية ومركزية لطبقة معينة، بل مشاركة واعية بين الدولة والشعب. وكذلك لا تكون العولمة بفرض ثقافة واقتصاد وقيم معينة تكون مركز الكون، ولكن ينبغي أن تكون نافذة نطل منها على جميع الثقافات فننهل منها ما يساعدنا على التقدم والازدهار مع الاحتفاظ بهُويتنا وثقافتنا، لندرك أن هناك ما يمكن أن نتعلمه من الآخر. وانطلاقاً من ذلك تُعد أفكار "جارودي" ضد العولمة المهيمنة والتمركز حول الذات والرأسمالية بمثابة تمرد فكري على الأوضاع السياسية والاقتصادية والأخلاقية السائدة في الغرب، وبالتالي فإن هذا يستلزم حضور ثقافة جديدة؛ ألا وهي ثقافة الاختلاف وقبول الآخر. ومن ثَم يمكن القول بأنه قد حاول أن يُعيد بناء آفاق مستقبلية للعالم بأكمله، آفاق نحدد من خلالها الأبعاد المطلوبة لهذا المشروع. ويمكن بيان ما تصوره في عدة تحولات:

1- التحول في الاقتصاد

لقد نادى "جارودي" بأن التحرر يستلزم الخروج من قبضة سيطرة الشركات متعددة الجنسيات والتي من خلالها فقدنا كل معنى للحياة، إذ أن وحدانية السوق الأمريكية واستعبادها ليس فقط لدول العالم الثالث، بل لباقي الدول الأوروبية كان له أعظم الأثر في التنبؤ بتفاقم البؤس الإنساني على الصعيد العالمي في جميع المستويات. فإذا كان توازن القوى في العالم يقُم على أساس تحقيق المكاسب المادية فقط وليس إشباع حاجات المستهلكين، فتكون تجارة السلاح والمخدرات هما أفضل أنواع التجارة الممكنة. واقتناعاً منه بأن "نمو الإنتاجية لا يخدم عموم الإنسانية بل يخدم مالكي وسائل الإنتاج وحدهم" (جارودي: (2002) ص110) فقد آمن بأن النمو الاقتصادي وسيطرة السوق الحرة على جميع الدول ليست حلاً للمشكلات الاقتصادية الدولية والتي تتمثل في المجاعة والبطالة والهجرة، بل رأى أن هذا الحل أكذوبة من أمريكا لتمكين فتح جميع أسواق العالم لمنتجاتها. ولكن الحل الذي يقدمه "جارودي" نجده يقضى على الانشطار والتصدع المنتشر في العالم ويُنشأ احتراماً وتفاعلاً بَنَّاءً بين دول العالم، فيقول: "الحل الوحيد الممكن لجوع البعض وبطالة البعض الآخر وهجرة الجياع في بحثهم الوهمي عن العمل، هو تغيير جذري لعلاقتنا مع العالم الثالث، مع وضع نهاية لسيادة الغرب ولتبعية الجنوب لأن التبعية هي التي تُنتج التخلف." (جارودي: (2002) ص112) ويمكن القول بأن "جارودي" قد استند في مناداته بهذا الحل إلى عدة خطوات (جارودي: (2002) 114- 118) ومنها:-

ISSN: 2706-6495

1- إلغاء كامل للديون التي لا أساس تاريخي لها ولا مبرر.

2- إلغاء كل معونة مالية لحكومات العالم الثالث (استناداً إلى أن هذه المعونة لا تؤدى إلى التنمية بل إلى زيادة الفقر وإفراغ جيوب دافعي الضرائب وملء جيوب بعض المنتفعين من الحكوميين في الشمال والجنوب).

3- عدم إعطاء قروض عامة وخاصة للحكومات، وإنما تُعطى مباشرة إلى منظمات القاعدة والتعاونيات والنقابات. وأن تُدفع من أجل مشروعات محددة للمنفعة العامة.

4- قبول أن يكون سداد هذه الديون إما بعملة البلد بدلاً من إخراج العملة الصعبة والقضاء على مشكلة الفوائد، وإما أن تُدفع في صورة منتجات وبنفس القيمة.

5- مواجهة التضخم العملاق للمؤسسات التي لا تهدف إلا لزيادة استثمارات الشركات الكبرى، والحث على استخدام التقنيات الحديثة التي تتناسب مع الحاجات المحلية.

6- التفاوض السلمي بشأن الصراعات التي تخدم الدول الاستعمارية.

7- مقاطعة عامة للولايات المتحدة وأتباعها وخصوصاً إسرائيل، مرتزقة الغرب ضد الثقافات المحلية وضد السلام.

وبذلك يكون "جارودي" قد أحسن القول عندما نادى بالإصلاح الاقتصادي، فنادى أولاً برد المظالم إلى أهلها وكذلك وجوب إدراك مَن الدائن ومَن المَدين؟ وإذا كانت دول العالم الثالث هي المدينة فعليها ألا ترد هذا الدَّين ولا يكون هذا ظلماً وعدواناً، حيث أنه دَين زائف من البداية. أضف إلى ذلك إذا كانت القاعدة هي أن ترد دول العالم الثالث ديونها لبلاد الغرب، فمَن يرد الدين الذي سلبته الدول الأوروبية باستعباد دول جنوب أفريقيا وبنهب المواد الخام منها؟ مَن يرد ديون الغزو الاقتصادي والثقافي والأخلاقي؟ مَن سيدفع ثمن دماء مَن كانت أوروبا سبباً في قتلهم سواء في الحرب النازية أو في الصراعات الدائمة الدامية بين أوروبا وبلاد الشرق؟ وأخيراً يمكن القول، من أجل وجود نمو اقتصادي وحضاري حقيقي فإنه ينبغي أن يلبى هذا الاقتصاد حاجات المستهلكين بزيادة الإنتاج والاستهلاك المحلى وأن يكفل حل مشكلات البطالة والفقر والهجرة في شتى أنحاء العالم.

2- التحول في السياسة

إن إصلاح السياسة يتمثل في إصلاح النظام العسكري والقانوني لدولة ما، وهذا الإصلاح يقتضي اختيار نظام عادل للحكم يتمتع فيه الأفراد بحرياتهم وحقوق المواطنة وحق التصويت لكل أفراد الشعب مالكين وغير مالكين، بيضاً وسوداً، أسياداً وعبيداً، رجالاً ونساءً على اختلاف أديانهم وعقائدهم، وهذا فضلاً عن الالتزام بواجباتهم متحملين مسئولية أفعالهم. وإذا كان النظام الديمقراطي بمعناه الحقيقي هو الذي يضمن تحقيق ذلك فيكون هو النظام الأفضل. ولكن الواقع يبدو غير ذلك، إذ أنها ديمقراطية مُقَّنعة وانتخابات مقصورة على فئة معينة وفي الغالب هم أصحاب رأس المال، فكما يقتسمون السلطة والسيطرة على السوق العالمية يقتسمون الوظائف القيادية. أية ديمقراطية هذه التي لا تهدف إلا إلى أن تُزيد الفقير فقراً واستعباداً وتجعل الغني أكثر تسلطاً واستبداداً؟!.

ISSN: 2706-6495

وبالتالي فقد رفض "جارودي" هذه الديمقراطية التي تمارس فقط للأغنياء وللبيض وللرجال ولليهود دون غيرهم مُتسائلاً باستنكار (عندما نتحدث عن الإنسانية، فعن أي إنسان نتحدث؟ الأبيض؟ المالك؟ الغربي؟ وماذا يعنى الحق لإنسان ليس لديه وسائل ممارسة هذا الحق؟ ماذا يعنى الحق في العمل لملايين العاطلين؟ والحق في الحياة لملايين البشر الذين يموتون في العالم غير الغربي كي يستمر أصحاب الامتيازات في الغرب في متابعة نهبهم بحرية). (جارودي: (2002) ص130) ومن هنا يقدم "جارودي" نموذجاً على أن العالم الغربي يكون أكثر رضى عن أي دولة كلما كانت أكثر قبولاً للذل والعبودية وكلما كانت أكثر خدمة لمصالح أوروبا (فكانت فرنسا تُقدر "صدام حسين" أيما تقدير عندما كان يتلقى المال والسلاح ليحارب إيران، ولكنه يصبح فجأة هتلر الجديد عندما يحاول أن يقاوم التدخل الاستعماري للولايات المتحدة وحلفائها). (جارودي: (2002) ص131). وبالتالي قد نكون على صواب عندما نؤمن مع "روسو" بأن "الديمقراطية لم توجد أبداً ولن توجد" (روسو، جان جاك: (2000) ص148) وذلك لعدم استيفاء شروطها الحقيقية وتطبيقاتها الصحيحة في أي دولة، فضلاً عن أنها تُتخذ كمسوغ وكستار يمارس خلفه الديكتاتورية بأوسع معانيها. ولكن في ظل هذا التشتت السياسي قد نجد بارقة أمل عندما يتحدث "جارودي" عن إمكانية صنع إعلان عالمي لواجبات الإنسان -نلاحظ ذكر كلمة واجبات، وهي بذلك تُعد بمثابة حقوق للآخر ومن ثَم فإن تحقيقها يكفُل حقوق كل فرد-؛ كل إنسان بشرط أن يُطبق بكل صدق وعدل وموضوعية. ويمكن دمج بنوده التي ذكرها كما يلي: (جارودي: (2002)- ص132: 136).

1- تُضمن حرية التعبير لكل إنسان بدون تعصب لأي دين أو جنس أو ثقافة.
2- رفض كل حكم فردى (سواء كان فرداً أو أمة أو جماعة).
3- ضرورة الانتقال من النزعة الفردية التي يَعُد الإنسان نفسه مركزاً فيها والتوجه نحو الجماعية التي يشعر فيها كل فرد أنه مسئول عن مصير الآخرين.
4- السلطة، على أي مستوى كانت، لا يمكن أن تمارَس أو تُسحب إلا بواسطة توكيل من قِبل من يلتزمون، التزاما مكتوباً للوصول إلى المواطنة ومراقبة الواجبات.

وبالتالي وفقاً لـ "جارودي" فإن إرساء مثل هذه البنود وتطبيقها يمكن أن يحقق دعائم إقامة حوار حضاري بين الدول.

3- التحول في التعليم

لقد سلك العلم منذ بدء عصر النهضة منهجاً يُغاير شريعة العلوم الدينية المطلقة فتطورت العلوم وكذلك مناهج دراستها وازداد هذا التقدم حتى أصبحت الآلة ليست مجرد وسيلة للحصول على مُنتج أو نتيجة معينة ولكن أصبحت غاية تتنافس الدول في إنتاجها بغض النظر عن هدفها ومدى فائدتها، حيث أصبح دور العلم والآلة تهميش العقل الإنساني والإبداع العقلي. فلم تَعُد الحروب تستند إلى الآلات المدمرة والدبابات والصواريخ بل أصبحت حروباً نووية، فقضت القنبلة النووية على مدينة "هيروشيما" في اليابان، وقضى الفوسفور على الآلاف في ألمانيا في الحرب الهتلرية، بل أصبحت الآن حروب بيولوجية من خلال التلاعب بالجينات الوراثية وأصبح هدف العلم ينحصر في تدمير البشرية وليس إلى نهضتها وازدهارها. ومن هنا كان لزاماً على المفكرين أن يُصححوا مفهوم التعليم وقيمة العلم وغايته ومنهجيته ووسائل نشره في المجتمع ليُنتج إنساناً مبدعاً وشاعراً، لتتكامل متطلبات الروح والجسد. فيقول "جارودي": "لقد آن الأوان لأن نعى بأن نمط نمو الغرب هذا، الذي يقودنا

إلى حيوات لا هدف لها وإلى الموت، يحاول تبرير نفسه بنموذج من الثقافة والأيديولوجيا يحمل في ذاته هذه البذور من الموت" (جارودي: (1985) ص20). ولنا أن نتساءل، على عاتق مَن تقع مسئولية الغزو الثقافي المبتذل للعقل العربي؟ هل يكون معيار مصداقية البرامج التليفزيونية ما تُدِره من أرباح أو مدى ما تجلبه من مستمعين، أم مقدار ما تبثه من الوعي الذي يحمل في طياته عدم التهميش الفكري، وكذلك مقدار المسئولية التي تُلقى على عاتقنا من أجل الوصول إلى حلول لمشكلات مجتمعنا؟ هل يكون هدف الفن مجرد التسلية والإثارة السلبية بكل معانيها والبعد عن كل معنى؟ هل تشتد خصوبة الإعلام كلما كثرت الجرائم وتنوعت أفكارها وكلما تفنن أصحابها في براعة تنفيذها؟ ويمكن القول بأن الشاهد هنا حول كل هذا الاستياء والغضب حول أحد وسائل التعلم ونشر الوعي (الإعلام) هو أن منتجي هذا الانحدار الثقافي والتربوي لا يكفوا عن إلغاء كل معنى في الحياة، ليس في بلادهم فقط بل غزوا العالم أجمع خاصة بعد ثورة الاتصالات وانتشار الفضائيات. وهذا بدوره يؤدى إلى تفكك وانهيار حضاري، أي التلاقي من أجل السقوط في الهاوية. إذن لابد من تغيير دور الفن والثقافة لإنتاج تعليم خلاق بوسائل إعلامية ذات طابع أخلاقي.

لقد أشاد "جارودي" ببعض الأمثلة التي من شأنها أن تُصلح التعليم وتجعل المتعلم إنساناً، وقد تمثل ذلك لديه في تعليم (القراءة- التاريخ- الفلسفة). أما القراءة فلا يقصد بها القراءة المبدئية ولكنه يحث على القراءة بوعي الحاضر والآخر، وفيها يبتعد الإنسان عن القراءة السطحية ويلتزم بالعمق التحليلي والنقدي في ضوء فهم الواقع، فضلاً عما يقع علينا من مسئولية بعد هذه القراءة تجاه منعطفات الحياة، وإلا، فماذا يكون الهدف من القراءة أو التعلم؟!. ويقدم "جارودي" مثالاً على مدى الإدراك اللفظي والفكري الشمولي في آن واحد لكل كلمة فمثلاً (عندما تقرأ كلمة مسكن وهي ما تعني في القاموس "المكان الذي نقيم فيه عادة" علينا إدراك أن هذا لا يتعلق بالمساكن المعمارية فقط ولكن علينا أن يحضر في أذهاننا صورة المتسول الذي ينام عند فتحة تفريغ الهواء الساخن في محطة المترو ليحمي نفسه من البرد أو يتلحف بصفحات الجرائد ليستدفئ بها وبالتالي فهذا هو المكان الذي يقيم فيه عادة، قِس على ذلك من يتواجد في الضواحي العشوائية وكذلك من يقطن في الأحياء الراقية). (جارودي: (2002) ص172) ويستطرد قائلاً "إنه الوعى بالحركة التي يفجرها اللفظ" (جارودي: (2002) ص173) وبالتالي لا تكون المعرفة قائمة على التسلية أو مجرد إشباع المتعة الفكرية، بل بذلك نكون قادرين على تفسير الحياة ومعناها.

وأما التاريخ فيحثنا "جارودي" على ضرورة سرده بكل صدق وموضوعية، حيث أن له دور كبير في ازدهار الحضارات، إذ أنه ينفي الأساطير والمزاعم المزيفة في نشأة الدول الأوروبية، فيقول "المفهوم الأسطوري للتاريخ القومي

يؤدى باستمرار إلى تدمير عقول وأجساد الشعوب" (جارودي: (2002) ص178) وفي هذا المقام نجد أن "جارودي" قد استشهد بأقوال جهابذة من المفكرين الأوروبيين الذين أثروا التاريخ بمصداقيتهم وبوفائهم لمن تعلموا على أيديهم، (ومن أبسط الأمثلة اعتراف "روجر بيكون" (1561- 1627)Roger Bicon[3] بتأثره الشديد وانتحاله في كتابه "العمل الأكبر" Opus Majus بل والترجمة الحرفية لكتاب "البصريات" للعالم المصري "الحسن بن الهيثم"، فيقول "بيكون" "الفلسفة مستمدة من

[3] - وجدير بالذكر أن "جارودي" في متن كتابه "كيف نصنع المستقبل" ص 198- قد ذكر اسم المفكر "روجر بيكون" وألحق بجواره تاريخ ميلاد ووفاة المفكر "فرانسيس بيكون" وهذا يجعل القارئ مشوش بخصوص الاستشهاد في هذه الفقرة. ولكن يمكن القول بأنه على الرغم من أن كليهما مفكران إنجليزيان اهتما بالمنهج التجريبي والاستقرائي في العلم ولكنهما فى زمانين مختلفين؛ حيث أن "فرانسيس" (1561- 1627) أي في أواخر القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر، أما "روجر" (1214- 1294) أو (1220- 1292) أي أنه من مفكري العصور الوسطى (في القرن الثالث عشر) ويكون بذلك قد أخطأ "جارودي" في ذكر التاريخ فقط، ويقصد بالفقرة "روجر" وذلك لأن كتاب "العمل الأكبر" Opus Majus من أهم أعمال "روجر". وبالتالي ينبغي تصحيح التاريخ في متن الكتاب.

ISSN: 2706-6495

العرب، وما من لاتيني يستطيع الفهم الصحيح للحكمة والفلسفة دون أن يَعرِف اللغات الأصلية التي يترجم عنها" (جارودي: (2002) ص198). وقد لاحظنا في المبحث الأول مدى تهكم وسخرية "جارودي" من الافتراءات والأكاذيب المتعمدة لسرد التاريخ عن طريق الأساطير، وبالتالي فإنه يدحض كل تشويه متعمَّد للتاريخ.

وأما الفلسفة فإنها طبقاً له لابد أن تتصل بالغايات الحقيقية للإنسان وتبحث عن معنى الحياة الصحيحة دائماً وذلك من خلال اتصالها بالعالم السياسي والأخلاقي المعاصر ومحاولة الربط بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون ليس في الحاضر فقط بل في المستقبل أيضاً، بمعنى (ألا تكون المشكلة كيف سيكون العالم في الخمسين سنة الآتية، ولكن المشكلة هي ما الذي سيترتب في الخمسين سنة الآتية على ما نتخذه اليوم من قرارات) (جارودي: (2002) ص233) ، باحثين في مشكلات الوجود بجدية حتى نصل من خلالها إلى الحرية الحقيقية، رافضين سيطرة الأنظمة السياسية الفارغة من كل معنى للحياة وللإنسان كإنسان.

3- التحول في الدين

إن وجود الوازع الديني وما يتبعه من مبادئ لدى أي شعب هو ما يُشكل هُويته الحقيقة، فبناء القيم الروحية والمطلقة كمعيار لديه والتي تُستخدم كمعيار حقيقي لاختبار مصداقية وموضوعية غاياتنا الإنسانية والأخلاقية لهو في حد ذاته سمة حضارية تُشكل أقوى حصن منيع ضد أي هزات اقتصادية أو ثقافية أو سياسية، وبزوالها ينهار الكوكب بأكمله. ومن ثَم، ما هو الدور الذي يمكن للإيمان أن يقوم به في القرن الواحد والعشرين ليكون ذا وجه إنساني؟

لقد وجد "جارودي" أن التعاليم الدينية التي تسبق الإسلام هي صاحبة لغة مزدوجة، فبخصوص الديانة اليهودية أقر بدايةً أن الصهيونية تختلف عن التوراة، حيث "راحت الصهيونية السياسية تتجه إلى إنشاء نموذج للمجتمع يختلف جذرياً عن المِلة اليهودية مقلدة المفهوم الغربي للأمة والدولة" (جارودي: (1991) ص168)، فالتوراة لا يمكن أن يكون نداءها خاص بالحرق والهدم والتدمير لكل من يخالف اليهودية. كما أنه أنكر على اليهود قولتهم بأنهم شعب الله المختار وآمن بأن هذه التوراة التي بين أيديهم ليست نصوصاً دينية ولكنها نصوص تخدم أهدافهم الاستعمارية. وقد وجد دليل ذلك التحريف في القرآن الكريم في قوله تعالى: "أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون" (البقرة: 75) وكذلك في قوله تعالى: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (النساء: 46).

أما الديانة النصرانية فنجد أنه على الرغم من جميع سمات الحب والسلام والإخاء في الإنجيل إلا أن فيه تناقضات جمة، فعلى سبيل المثال في إنجيل "لوقا" "أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مُبغضيكم.... وصَلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم. مَن ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضاً ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً" (لوقا: 27: 30)، إلا أن القديس "بولس" يقول في التفرقة بين السيدة هاجر والسيدة سارة زوجات سيدنا إبراهيم عليه السلام: "اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة. إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة" (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسطس5/ 22: 23) والمقصود هنا بالطرد إسماعيل عليه السلام وذريته من المسلمين. أضف إلى ذلك إنكار "جارودي" لقولة النصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه رافضاً جميع الصراعات الطبقية والعقائدية التي توجد لدى المسيحيين على مستوى العالم،

فهناك صراع بين النصارى في روما وبين أمثالهم في الشرق، وهؤلاء يرفضون تماماً تسلط الكنيسة الغربية عليهم ويطالبون بتحرير الكنائس التي هي تحت الوصاية، وكذلك هناك صراع بين طوائفهم عموماً مثل الإنجيليين والأرثوذكس والكاثوليك ...إلخ.

ولكن مما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام قائم على مبادئ العدل والحرية والتنمية، فضلاً عن احترام جميع الديانات السابقة عليه، إذ أنه لا يتم إسلام المرء إلا بالإيمان بجميع الرسالات السماوية انطلاقاً من قول الله تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" (البقرة: 285)، كما أن الإسلام يدعوا إلى التحاور وقبول الآخر، قال تعالى: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران: 64) وكذلك قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الحجرات: 13) والشاهد هنا حول ذلك هو أن "جارودي" قد آمن بقيمة الدين عامة والإسلام خاصة في سبيل إقامة حوار حضاري بين جميع الأمم. ولقد أشاد بجهود المسلمين في فتحهم لمدينة الأندلس (أسبانيا حالياً) مُعلناً أن قرطبة تعد عاصمة العالم والفكر لبلاد الغرب، فعندما فتحها "طارق بن زياد" عام 711م ودخلها المسلمون بانتصارهم في موقعة "وادي لكة" وأفاضوا عليها الكثير من علومهم فاعتُبرت حلقة الوصل بين الثقافة العربية الإسلامية وبين بلاد الغرب. فيقول "جارودي": "إن أول نهضة لأوروبا، لم تكن بدأت في إيطاليا في القرن السادس عشر، وإنما في أسبانيا في القرن الثالث عشر" (جارودي: (1995) ص8) وهذا لأنها تزخر بكبار العلماء المسلمين من أمثال "ابن مسرة القرطبي"(883- 931)، "ابن حزم"(994- 1064)، "ابن جبيرول"(1020-1070)، "ابن باجة"(1090- 1139)، "ابن طفيل القادشي"(1100- 1185)، "ابن رشد"(1126- 1198)، "موسى بن ميمون"(1135- 1204)، "ابن عربي"(1165- 1241). والمقام هنا لا يتسع لذكر مفاخرهم، ولكن يكفينا القول بأن كتاباتهم كانت مصدراً رئيسياً للعلوم في الغرب في كثير من المجالات.

لقد توصل "جارودي" إلى أن الماهية الحقيقية للدين الإسلامي هو أنه دين شمولي يضم جميع الشرائع والكتب السماوية، فيقول: "الإسلام (الذي يعنى: "الخضوع والتسليم لإرادة الله"، القاسم المشترك لكل دين موصى به، يهودي أو مسيحي، أو إسلامي) هو العقيدة الوحيدة، في أن إبراهيم، وقد ضرب المثل على ال"خضوع" المطلق لله، يُدعى "أبو المؤمنين"، ويعتبر موسى ويسوع، كنبيين للإسلام، لهذا "الخضوع لله". ووفقاً للقرآن جاء النبي محمد يؤكد رسالتهما، ويطهرها من تحريفاتها التاريخية ويتممها" (جارودي: (1995) ص12). مشيراً إلى نقاء الإسلام من العنصرية والعنف، مستشهداً بقوله الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) وبالتالي فقد أدرك "جارودي" أن (مجادلة الإسلام ليست موجهة ضد رسالة موسى ولكن ضد تفسيراتها الحصرية وأن مجادلة المسيحيين ليست موجهة ضد يسوع ولكن ضد الشرك) (جارودي: (1995) ص12). وعلى ذلك فإن الإسلام بما يعنيه الخضوع والتسليم لإرادة الله هو دين جميع الأنبياء من لَدُن إبراهيم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن هو الكتاب الجامع لكل من يريد التعرف على جميع الأديان السابقة[4] وقد أجمل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: "قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ

[4] - للاستدلال من القرآن الكريم على أن جميع الأنبياء والرسل يدينون بدين الإسلام بما يعنيه من الخضوع والتسليم لإرادة الله – يمكن الرجوع إلى (البقرة: 128، 132، 133) (آل عمران: 52، 67) (يونس: 84) (يوسف: 101) (النمل: 42) (العنكبوت: 46).

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ". (آل عمران: 84) ومن هنا يمكن القول بأن "جارودي" قد وجد في الإسلام إجابات ما يؤرقه من تساؤلات حول الدين والفكر وأن ما فيه من مبادئ وأسس حول حوار الحضارات فإنها تتناسب مع مبادئ مشروع الأمل لديه.

وجدير بالذكر أنه إذا كان "جارودي" قد أشاد بجهود الإسلام والمسلمين، فهذا البحث في حد ذاته إشادة بجهوده كمفكر غربي مُنصف نستشهد بأقواله على مدى دعم الثقافة العربية الإسلامية للعلاقة بين الأنا والآخر.

وختاماً لذلك يمكن سرد عدة ملاحظات في هذا البحث:

أولاً: من أجل تحقيق مشروع الأمل لدى "جارودي"، فإن هناك عدة اختلالات تحتاج إلى إصلاحات من وجهة نظره.

1- فصل العلوم التقنية عن العلوم الثقافية الإنسانية وتلاشى أثر القيم في تقويم التلاقي بين هذين النوعين من العلوم. وبالتالي فإنه يرى _ونحن معه_ أن هذا غير صالح لإقامة مجتمع تتكامل فيه معايير النمو والتطور، فينبغي أن تتوافر قاعدة أخلاقية ودينية نستطيع أن نستنتج منها القاسم المشترك بين هذه العلوم لتتكامل من أجل الوصول إلى منظومة ثقافية حقيقية تستطيع أن تُشبع احتياجات كلاً من الروح والجسد.
2- التبعية العشوائية غير الهادفة وإدراك أن معيار التفوق يكون بالارتكاز على النموذج الغربي الأوحد. ولكن هذا الأمر مرفوض، إذ ينبغي على كل دولة أن تلتزم بخطاب الهُوية الثقافية الموضوعي والابتعاد عن المغالاة في الرمزية "أعني ما يتعلق بالأذواق والأزياء " وما شابه ذلك مما يؤدى إلى خفض المستوى الإنتاجي للدول المستهلكة التابعة.

ثانياً: القاسم المشترك الذي يربط بين مشكلات العالم _الفقر، الهجرة، البطالة.._ هو الهيمنة الأمريكية المعتمدة على سيطرة السوق على دول العالم جميعاً. وبالتالي "لا يمكن حل أي من مشكلاتنا ... طالما نعيش في عالم يزداد خمس سكانه ثراء على حساب الباقين، إن وحدة العالم هي شرط استمرار الحياة". (جارودي: (2002) ص10).

ثالثاً: دعوة المنصفين من علماء الشرق والغرب سوياً لرفض فكرة المركزية. فنُشِيد بجهود هؤلاء الذين أدركوا أهمية حوار الحضارات وضرورة التفاعل بين الشمال والجنوب وما ينتج عنه من تطور للبشرية بأكملها. مثال على ذلك، الأديب الألماني "غوته" Goethe الذي يقول: "لم يبق للأدب القومي اليوم معنى كبير: لقد أزفت ساعة الأدب العالمي، وعلى كل امرئ أن يتعجل هذه الساعة" (جارودي: (ب.ت) ص183) وهناك من ينادي بضرورة إقامة التوازن بين الطرفين وإيمانهما بأنهما وجهان لعملة واحدة هي تقدم الإنسانية. فيؤكد على ذلك الاقتصادي السابق في البنك الدولي ورئيس إدارة دراسات التنمية في وزارة التعاون والتنمية في فرنسا، "جاك لوب" فيقول: " فمن الواضح اليوم أن بلدان "الشمال" لم يعد باستطاعتها تشكيل سياساتها دون اهتمام ببلدان الجنوب، بقدر ما لم يعد باستطاعة هذه الأخيرة تحديد استراتيجياتها الإنمائية دون أن نضع موضع الاعتبار أوضاع الدول الصناعية والإجراءات التي تتخذها[5]" (لوب، جاك: (1986) ص317). وهذه مجرد أمثلة من بلاد

[5] - حيث إن بلاد الشرق هي التي مهدت الطريق أمام الأسواق العالمية الكبرى للدخول في بلادها وبذلك وضعتها على أول درجات الاحتلال لبلادنا. كما أنه لا يستطيع الشرق أن يقف كحائط صد منيع ضد هذا الانفتاح خاصة العلمي والثقافي لبلاد الغرب.

ISSN: 2706-6495

الغرب ونجد أمثالهم من المنصفين المعتدلين من العرب. ومثال على ذلك –أيضاً- المفكر المصري "زكى نجيب محمود" الذي آمن بضرورة وجود أيديولوجيا تكون "أبرز مقوماتها هو محاولة الجمع في صيغة واحدة،

بين ما هو حيوي من تراثنا لنصون به هويتنا التاريخية وما هو جوهري من ثقافة الغرب الجديد لنكسب به صلاحية الوجود" (محمود، زكي نجيب: (1985) 29). أضف إلى ذلك قول "د. أحمد محمود صبحي": "لا مفر من اقتباس ما يلائمنا من الأنظمة السياسية والاقتصادية لحضارات سبقتنا إن أردنا اللحاق بها، والتخلي عن "مركزية الذات" بالادعاء بأن في ديننا حلولاً جاهزة لكل مشكلات العصر" (صبحي، أحمد محمود: (1987) ص119). وبالتالي يمكن القول بضرورة تجاوز انغلاق النظرة الغربية على ذاتها بعد سلب جميع إنجازات الآخرين والإيمان بتعدد مسارات القيم في العالم.

رابعاً: التمزق الداخلي بين أوصال الأمة العربية والإسلامية من أهم الدوافع التي جعلت المنطقة العربية لقمة سائغة لدى الأوروبيين، بل لقد كان من بين خِطط إسرائيل الاستراتيجية في الثمانينات ما ذكرته مجلة كيفونيم التي تصدرها "المنظمة الصهيونية العالمية" في القدس "ينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافياً هو هدفنا السياسي على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينيات. وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد" (جارودي: (2002) ص8، 9). كما يمكن القول بأن من أهم أسباب الكبرياء الأوروبي على بلاد الشرق هو إحساس بعض العرب بالدونية أمام أوروبا وكذلك خوفاً من قطع الهبة التي تمنحها أوروبا لهم، وقد توارث هذا الإحساس بين حكام العرب الذين صُنعوا على أعين الدول الأوروبية العظمى ويشهد التاريخ بذلك، (استصدار وعد بلفور من بريطانيا 1917[بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين]، واستصدار قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة 1947، وتوقيع مصر لاتفاقية كامب ديفيد 1978، واتفاقية الصلح بين مصر وإسرائيل 1979، استخدام كل الثقل الأمريكي للضغط على دولة عربية بعد أخرى خلال الثمانينات مما أدى إلى غزو العراق للكويت 1990 والهجوم على العراق 1991) (أمين، جلال: (2005) ص222). وهذا ما يؤكد أن الحكام العرب لا يَعصُون أوامر الغرب ويفعلون ما يُؤمرون. ومن ثَم يجب على العرب أن يفيقوا من غفلتهم، فلن تقوم لهم قائمة إلا إذا رفضوا فعلياً مبدأ فرق تَسُد واستبدلوه بمبدأ "وحد تسد"، وفي حينها لا تكون سيادة دولة أو شعب ولكن سيادة هُوية بجانب حضارة.

خامساً: إذا كانت مسارات الفكر في الوجود الإنساني تتجه إما نحو المادية أو المثالية، فإن "جارودي" قد استخدمهما كأدوات فكرية دَعَّم بها مذهبه ولكنْ كلٌّ على حِده، فأفرد لكل مرحلة فكرية من المؤلفات ما يؤيد اتجاهه، ثم بالجمع بينهما منذ اعتناقه للإسلام. فقد اعتنق المادية لفترة لا يُستهان بها، كان لها الفضل في تدعيم الإطار الفكري الواحد الذي تتسم به الاتجاهات اليسارية الاشتراكية لديه حتى الآن. فما تبقى له إذاً من هذا الاتجاه المادي هو الأفكار الأساسية لدى اليساريين التي نحت التفاصيل جانباً وأعطت الأهمية للمُثل العليا الأخلاقية والسياسية. ولكن بعد اكتشافه جفاف المادية من الروح وسيطرة الأَحادية الفكرية بكل رموزها المعاصرة وخاصة في عصر ما بعد الحداثة، ظهر موقفه النقدي المؤسس على تناقضات الغرب فيما بعد الحداثة مع قيم الحداثة.

ثم ظهرت المثالية لديه بإضفاء الجانب الرُوحي على الفكر من خلال تحوله من الاشتراكية إلى روحانية اللاهوت النصراني. إلا أنه وجد هذا اللاهوت يُخالف ما فُرض من أجله الدين من سمو فكري ورُوحي وحضاري، وهذه المخالفة كانت

ISSN: 2706-6495

نتيجة الغُلو في جانب على حساب الآخر. فيقول "جارودي": "فمهمة نظرية المعرفة هي أن تُفكر في هذا المدلول الكوني للفكر البشري الذي أشار ستالين، في مؤلفه الأخير "القضايا الاقتصادية للاشتراكية" إلى جميع آفاقه الخلاقة" (جارودي: (ب.ت) ص77). ويمكن القول بأن هذا هو ما استقاه "جارودي" وحمله على عاتقه أثناء خروجه من الحزب الاشتراكي. ومن ثَم فالمحتوى الفكري عنده قد جمع بين دفتيه فضائل هذه المسارات الفكرية معتنقاً في نهاية الأمر الإسلام لما فيه من جمع بين المادية والمثالية الرُوحية. ومن هنا كانت فكرة التعالي لديه بالانتقال من وعي الذات إلى وعي الآخر. أما فيما يخص الحياة الميدانية فقد وضح خلل المادية البيِّن في هذا العصر (عصر المادية) ورأى أنها حجر عثرة في طريق الوحدة الأخلاقية والسياسية والفكرية والاقتصادية، والتي لابد لتحقيقها من إضفاء الطابع الروحي والأخلاقي عامةً والديني خاصة. أضف إلى ذلك أنه وضع لكل محور عدة توصيات، تصب جميعها في إطار النهوض بالإنسان كإنسان، ناهلاً من كل مذهب فكرى أفضل ما فيه من أجل التوازن الإنساني. ومن ثَم فإن هذا البحث وصورته تجاه الغرب والشرق يُمثِل تلك المرحلة الأخيرة التي جمع فيها بين المادي والروحي، النظري والعملي، ولم يجد في سبيل تحقيق ذلك سوى الإسلام والذي كان بمثابة إشباع لقناعاته الفكرية وآرائه النضالية حول حوار الحضارات.

سادساً: إن أمثال "جارودي" ممن يُعطون قيمة للإسلام يبعثون الرعب ويثيرون المخاوف لدى القائمين على تنظيم المجتمعات الأوروبية من انتشار الإسلام في أوروبا، وربما يكون هذا من أسباب اضطهادهم له.

سابعاً: على الرغم من أننا ذكرنا سابقا أن مهمتنا في هذا البحث لا تدور حول التنقيب عن درجة إيمان "جارودي" إلا أن هناك ملاحظة هامة: وهي أنه متناقض بعض الشيء فيما يقول، إذ أنه قد ذكر بأنه غير مقتنع بالإنجيل حالياً وأن فيه كثيراً من التناقضات، ولكن في موضع آخر نجده يقول: "في مسيرتي نحو الإسلام، حاملاً في يد الإنجيل وفي اليد الأخرى ماركس حاولت أن أعيد في الإسلام –كما فعلت في الماركسية- إحياء الأبعاد الداخلية والسمو والحب" (جارودي: (2001) ص15)، ولكن كيف يمكن أن يدخل بكتاب التثليث دين التوحيد! ألم يعلم بأن الإسلام قد جمع بين دفتيه جميع فضائل ومزايا الديانات السابقة عليه! إنه استقطب عقول وقلوب قارئيه باسم الدين، حيث ارتكز على استدلالات غير صحيحة في فهم الإسلام وطوعها بتفسيراته العقلية من أجل مبادئه الفكرية، فاستشهد بالقول الإلحادي لابن عربي: "لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

[ويستطرد قائلاً]: إن هذا كله ما يجعل من الإسلام أعظم قوة للتكامل الروحي" (جارودي: (1985) ص140) وبالتالي فإننا لا نرضى بأن نتخذ من فكر "جارودي" حول الإسلام منهجاً يُحتذى به، إذ علينا نحن المسلمون أن نتفق معه أولاً حول معنى الإسلام الذي ندين به حيث أننا لا نرضى باستبدال الدين الإسلامي بدين إنساني. ولكن رغم ذلك نفخر به كمفكر إنساني ونشهد له بمحاربته جميع صور الاستغلال والعنف والاستبداد لشعوب العالم، كما نشهد له على موضوعيته ومصداقيته التي ينبغي أن تكون دأب كل عالِم حقاً.

ISSN: 2706-6495

ثامناً: لا يمكن اختزال التاريخ في بعض الأساطير التي من شأنها أن تجعل بناء المجتمع متصدعاً ومدعاة للانهيار، بل يجب حقن تلك الدماء التي تنزف في فلسطين وسَن القوانين التي تدعم حقوق الأقليات وخاصة في البلدان النامية (دول العالم الثالث)؛ حقوق تضمن لهم حياة يحتفظون فيها بأمنهم وحريتهم وكرامتهم وهُويتهم، فلا يمكن أن تكون هناك قداسة لشعب أو اقتصاد واحد، بل يجب أن ننتقل من شريعة الغابة التي صرح بها "هوبز" إلى شريعة مُحبى صناعة السلام في العالم من أمثال "كانط"، "غاندي"، "رسل" وكذلك "جارودي".

الخاتمة

نصل في نهاية هذه الورقة، فضلاً عن الملاحظات الختامية السابقة، إلى إيقاظ أفكار العالمية والسلام التي قال بها "كانط"، "ياسبرز"، "رسل" وبالتالي يُعد "جارودي" امتداد لهؤلاء الذين ينادون بالعالمية والانسجام والتضامن بين الأنا والآخر. ولعل التاريخ يُعيد نفسه مرة أخرى ليعود من تفكك وتشتت الأنا عن الآخر في فكر ما بعد الحداثة إلى تَبَنى أفكار المجددين وفي نفس الوقت نعض بنواجذنا على التراث، لا نُهمل منه إلا ما عُرف عنه بأنه تقاليد بالية وأعراف عقيمة لا تُسمن ولا تُغنى من جوع. علينا ألا نكيل علاقتنا بالآخر بمكيالين، الأول الرضا والتسامح مع بنى جلدتنا في الفكر والعقيدة، والمكيال الآخر النفور والاستهجان لمن يرفض معتقداتنا. بل ينبغي علينا أن نزن الأمور بمعيار الموضوعية طالما أن الأمر يتعلق بما هو خاص بالمجتمع ككل، فلا ننغلق على ذواتنا وكذلك لا ننجرف وراء الآخر لدرجة ننسى فيها هُويتنا وتضيع معها ملامح فكرنا الشرقي والعربي الإسلامي، وتكون قراراتنا فيها من المسؤولية بقدر ما فيها من الحرية. وليكن هدفنا الوصول إلى نظرة شاملة لتقدم العالم.

توصيات البحث

1- ضرورة استثمار عقول المفكرين بما ينتجونه من أفكار وآمال تهدف إلى رقى المجتمع، حتى يستطيع هذا الجيل أن يترك للأجيال القادمة ما يستحق أن يفخروا به من أفكار تبتعد عن الصدام والصراع وتتجه فقط نحو الحوار والتفاعل الحضاري البَنَّاء بين الأنا والآخر.
2- التأكيد على حرية الإبداع والاعتراف بأنه حق للجميع وليس حِكراً على ثقافة أو بلد أو شعب أو عقيدة معينة.
3- تفعيل مبدأ المصالح المتبادلة بين الشعوب الذي يجعل كل أمة في أوج ازدهارها من خلال التنافس الإيجابي بين الحضارات والذي من شأنه أن يهدم مبادئ التواكل والتبعية الغير هادفة.
4- بث وتدعيم ثقافة التفاهم والتعايش والتعاون والتواصل والتضامن، وغيرها من المفاهيم التي تحمل في طياتها معاني الانسجام بين الأنا والآخر على جميع الأصعدة وذلك بإقامة عدة تحولات اجتماعية تُشكل ثورة على التقاليد الفكرية الكامنة في عقول الأوروبيين بتغيير مفاهيم مركزية السلطة والأحادية الفكرية والتمييز الديني والعِرقي والعنصري إلى مفهوم الشراكة المعرفية. كما ينبغي على الشرق ألا يُوجهوا نظرتهم إلى الغرب على أنهم إما مستعمِرين أو مغايرين لنا في العقيدة، بل ينبغي النظر إليهم بنظرة الذي يمكن أن نتعرف على ثقافته وننهل منها ما يتوافق مع قيمنا وأعرافنا الصحيحة، مع مراعاة الحذر ضد أي نية مبيته لنهب أو استعمار تلك البلاد التي اعترف الأوروبيون أنفسهم أنها تفيض لبناً وعسلاً.

والله الموفِق،،،

ISSN: 2706-6495

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- جارودي (روجيه): (ب.ت) النظرية المادية في المعرفة (ما هي المادية؟) ترجمة: محمد عيتانى- منشورات دار المعجم العربي- بيروت.

2- -------: (ب.ت) في سبيل حوار الحضارات- تعريب: عادل العوا- عويدات للنشر والطباعة- بيروت- لبنان- (ب.ت).

3- -------: (1985) وعود الإسلام- ترجمة: د. ذوقان قرقوط- القاهرة- مكتبة مدبولى- بيروت- دار الرقى- ط2.

4- -------: (1991) فلسطين أرض الرسالات السماوية- ترجمة: قصي أتاسي- ميشيل واكيم- دمشق- دار طلاس- ط1.

5- -------: (1995) الإسلام في الغرب- قرطبة عاصمة العالم والفكر- ترجمة: د.ذوقان قرقوط- دمشق- دار دمشق- ط1.

6- -------: (2001) كيف صنعنا القرن العشرين؟- ترجمة: ليلى حافظ- القاهرة- دار الشروق- ط2.

7- -------: (2002) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية- ترجمة: محمد هشام- تقديم: الأستاذ محمد حسنين هيكل- القاهرة- دار الشروق- ط4.

8- -------: (2002) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية- ترجمة: ليلى حافظ- القاهرة- دار الشروق- ط3.

9- -------: (2002) كيف نصنع المستقبل- ترجمة وتقديم: د.منى طلبة- د.أنور مغيث- القاهرة- دار الشروق- ط3.

10- -------: (2002) حفارو القبور- الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها- ترجمة: عزة صبحى- القاهرة- دار الشروق- ط3.

ثانياً: المراجع المترجمة إلى العربية

1- دونللي (جاك): (2006) حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق- ترجمة: مبارك على عثمان- مراجعة: د/ محمد نور فرحات- القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط1.

2- رامونيه (إينياسيو): حروب القرن الحادي والعشرين- مخاوف وأخطار- ترجمة: خليل كلفت- القاهرة- دار العالم الثالث- 2006.

3- روسو (جان جاك): (2000) المختار من العقد الاجتماعي- ترجمة: عبد الكريم أحمد- سلسلة أمهات الكتب- القاهرة- مكتبة الأسرة.

4- صن (أمارتيا):(2008) الهوية والعنف- وهم المصير الحتمي- ترجمة: سحر توفيق- الكويت- عالم المعرفة- يونيو.

5- لوب (جاك): (1986) العالم الثالث وتحديات البقاء- ترجمة: أحمد فؤاد بلبع- الكويت- عالم المعرفة- أغسطس.

ISSN: 2706-6495

6- لويد (ب.س): (1980) أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي- ترجمة: شوقي جلال- الكويت- عالم المعرفة- ابريل.

ثالثاً: المراجع العربية

1- د. أحمد محمود صبحي: (1987) اتجاهات الفلسفة الإسلامية في الوطن العربي (1960- 1980): مؤتمر الفلسفة في الوطن العربي المعاصر- بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- لبنان- ط2- نوفمبر.

2- د. جلال أمين: (2005) المثقفون العرب وإسرائيل- القاهرة- دار الشروق- ط2- 2005.

3- د. زكى نجيب محمود: (1985) الأيديولوجيا ومكانها من الحياة الثقافية- مجلة فصول- مجلة النقد الأدبي (الأدب والأيديولوجيا) - ج2- مج5- العدد الرابع- يوليو، أغسطس، سبتمبر.

4- د. عبدالوهاب المسيري: (1982) الأيديولوجية الصهيونية- ج1- الكويت- عالم المعرفة- ديسمبر.

5- د. محمد عمارة: (ب.ت) الإسلام والآخر- من يعترف بمن؟ ومن يُنكر من؟- القاهرة- مكتبة الشروق الدولية.

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الدكتورة/ إلهام يحيى محمد الرخاوي، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي

(CC BY NC)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v5.51.6